غريب اللغة فى الميزان

للأستاذ عبد القادر المغربى

من مشاكل الحياة ما لا يمكن حلّه ، أو لا يرضى الناس أن يتفقوا حلّه من شخص واحد مهما علت منزلته فى العلم والفضل لما يصادم ذلك من التحزب الرأي ، والمنافسات بين المتنازعين ، حتى ينزلوا أخيراً على حكم الجماعات التى لا تجد النفوس (غالباً) حرجاً من التسليم لها والرضى بحكمها

ومن هذا القبيل مشكلة إيجاد كلمات جديدة نحتاج إليها فى نهضتنا الحديثة ، سواء أكانت تلك الكلمات أعجمية الأصل ، أو عربية لكنها غير مأنوسة الاستعمال ، فان ضجيج النزاع يشتد حول تلك الكلمات ويَرَى كل من المتنازعين أن يُحكّم ذوقه غالباً ، وعلمه أحياناً ، فى قبول هذه الكلمة ، وعدم قبول تلك .

والتشاؤم بكلمات اللغة يرجع فى الأعم الأغلب إلى أمور أربعة :

١ — كون الكلمة من أصل أعجمى أو عامى

٢ — كون الكلمة غريبة غير مأنوسة الاستعمال

٣ — كون الكلمة مأنوسة المعنى مكروهة اللفظ ككلمة (ضيزى)

٤ — كون الكلمة على العكس مأنوسة اللفظ لكنها مكروهة المعنى كالكلمات الدالة على ما يستحى من ذكره

ويهمنا من هذه الأقسام القسم الثانى : وهو كون الكلمة غريبة لا يُعنى بها إلا المتخصصون فى اللغة لكن استجدّ فى لغة حياتنا اليومية فراغ لا يسده إلا بعض تلك الكلمات الغريبة ، فكيف نصنع ؟ هل نستعملها غير مبالين أذواق القراء ؟ أو نهجرها غير مبالين إهمال مصدر من مصادر تنمية اللغة ، ولا تعطيل معدن تستخرج من شذراته مادة لتلك اللغة التى يخشى أن تقضى عليها الألفاظ الأعجمية

وعندى أن ليس كل غريب اللغة مما يحسن هجرانه وترك الانتفاع به ، بل إن من كلماته ما استجمع شروط الفصاحة وإنما يعوزه الاستعمال فيُستقل ويصبح مأنوساً مألوفاً

ومرادى بالغريب هنا ما يجعله عامة متأدبى هذه الأيام . فهذا ما نريد أن نردد القول فيه ، ونميّز بين ما نحن فى حاجة إليه وما نحن فى غنية عنه

هذه كلمة (سياسة) لا نستطيل معها مرادفها وهي كلمة (إيالة) فان إيالة الرعية وسياسة الرعية شىء واحد ؛ بل ربما كانت (الإيالة) أشهر من (السياسة) فى استعمال أهل اللسان الأولين: آل البلاد والرعية أَوْلاً وإيالةً ، وتأوّل البلاد (من التفعّل) ؛ ويقلبونها أحياناً فيقولون (تألّى) ومنه قول الشنفرى فى بيتيه المشهورين (وأمّ عيالٍ قد شهدت نقوسهم الخ)

وقد عنى بأم العيال رفيقه فى اللصوصية (تأبط شرا) إلى أن قال (أىّ أولٍ تألّت) أى أية سياسة مشؤومة ساستنا بها تلك الأم فى توزيع الزاد علينا

وقد يقال أيضاً إن فعل آل إيالةً أعرق نسباً وأشد أصالة فى المعنى المراد من فعل ساس سياسة

ذلك أن السياسة تستعمل حقيقة فى سياسة الدواب ، ومن سياسة الدواب نقلت إلى معنى سياسة الرعية ، بينما كلمة (إيالة) خاصة بسياسة الرعية وإدارة مصالح البشر ، ولكن هل يشفع كل هذا بها ، فترزق الحظ وتحيا بالاستعمال ، أو يقتاتون بها ويهملونها إلى حين ؟

(بِزِيزَى) بكسر الباء وبزايين معجمتين أولاهما مشددة بينهما ياء ثم ألف مقصورة ، تقول العرب : (رجعت الامارة أو الرياسة بزيزى) أى ما عادت تؤخذ بالاستحقاق والكفاية بل بالقوة فمن عز وقوى عليها بزها وسلبها مستحقها . فكلمة (بزيزى) من فعل (بز) المأنوس والمشهور لاستعماله فى المثل السائر (من عز بز) أي من قوى سلب . فما أحوجنا إلى إحياء هذه الكلمة وما أكثر المقامات التى تعرض للكاتب أو الصحفى ويتفقد كلمة (بزيزى) فلا تخطر له

ولا أرى كلمة (فوضى) تسد مسد (بزيزى) إذ أن بينهما فرقاً لا يخفى على البصير

فهل يرضى كتابنا عنها ويفسحون لها المجال على أسلات أقلامهم ؟ أم يتأففون بها كما تأففوا بالايالة :

وكلمة (أبهل) ما الرأى فى إحيائها من رمسها ؟ يقال : أبهل الوالى رعيته إذا تركهم يفعلون ما شاؤوا . وكثيراً ما أصبح الأمر فوضى فى أطراف المملكة أو فى بعض بواديها بسبب عجز الحاكم أو بسبب سوء إدارته (أى إدارته) فهذه الحال هى الابهال تبهل الحكومة بلدا وتعجز عن ضبطه فتعم الفوضى فيه، ففعل (أبهل) من أجدر كلمات اللغة بالحياة وأولاها بالاستعمال

يقول قائل إننا نشعر بالاستغناء عن كلمة الابهال وتصاريفها ما دام لدينا تعابير أو جمل مركبة نستعملها مكانها

نعم ولكن إذا تدوولت واستعملت استجد فى نفوسنا شعور وألفة لها : مثل كلمة (هيأة) فى قولنا (هيأة المحكمة) و (هيأة كبار العلماء) ، فان كلمة رجال القضاء والقانون كادت تجمع على أنه لا تقوم مقامها كلمة سواها مع أن الحاكم والحكام كانوا في غنية عنها أكثر من ألف ومائتى سنة . وهذا كالسيارات والتليفونات فى بلاد كمصر مثلا كانوا يعيشون من دونها، أما اليوم فلم تعد تستتب للناس حياة ولا يطيب لهم عيش إذا حصل إضراب وعطلت السيارات والتليفونات عن العمل

* * *

زارنى بالأمس زائر كريم من كتاب الصحف وجرى بيننا ذكر الحاجة إلى أوضاع جديدة تقوم مقام تلك الأعجمية . فأجبته ما الفائدة من إجهاد أنفسنا فى وضع كلمات عربية جديدة إذا كنتم تأنفون منها بسبب شىء من الغرابة أو الثقل تجدونه فيها فما أسهل إيجاد الأوضاع علينا. ولكن ما أصعب قبولها عليكم

قال : وما مثال ذلك؟ قلت: قد يكون للدولة جيش مختلط من وطنيين وغير وطنيين فهل تحبون أن نطلق عليه اسماً كانت تعرفه العرب وهو (البريم) ؟ وأصل معنى البريم خيط ثخين يفتل من عدة خيوط مختلفة اللون . فالعرب متقدمو الفهم سموا الجيش المتعدد الأجناس (بريماً) تشبيهاً له بالبريم أعنى الخيط المذكور . فقال: ينبغى تبول كلمة البريم لخفتها وإحكام وضعها. أما (البزيزى) و (الابهال) فلا . ثم أخذ يجادل ويحتج لنفسه بقول الأستاذ (أحمد أمين) وهو :

« إن علينا اليوم أن نختار الألفاظ التى تناسب العصر ويرضاها ذوق الجيل الحاضر »

قلت : وقال الأستاذ (عزام) ما ملخصه :

« إن علينا اليوم ألا نجعل الذوق حكما فى اللغة لأنه يقتصر على المألوف من الكلمات ويعد ما عداه ثقيلا نابياً . وعلى الكاتب ألا يجعل نفسه أسيراً تتصرف به الأذواق الخاصة ، بل يستعمل فطرته فتملى عليه من الكلمات ما يلائم الذوق العام . الألفاظ أسبق من أن يتحكم فيها الشرق والغرب . الحاجة الملحة تنشىء الألفاظ . وهذه الحاجة لا تبالى بالأذواق ؛ فكم من كلمة أجنبية ثقيلة استعملها كتاب العرب وألفتها أذواقهم : كالبروبوغندا والأرستقراطية والميتافيزيقية الخ . وما دام هناك معان شديدة وجب أن يكون إزاءها ألفاظ شديدة، ولا مندوحة لنا عن استعمال تلك الألفاظ لمعانيها كما نستعمل الألفاظ اللينة لمعانيها أيضاً . ونكون فى عملنا هذا أحراراً دون أن تأخذنا رحمة بالأذواق ، وكما يعالج لين الحضارة بالرياضات الخشنة القاسية ينبغى أن يعالج لين اللغات بالألفاظ الخشنة القاسية أحياناً . وإن حاجتنا اليوم إلى الابداع تسوّغ لنا أن نتخيّر من الألفاظ ما نشاء ثم نطبع ذوق الأمة على مشيئتنا هذه . وما أشد حاجتنا إلى كثير من الألفاظ الجديدة التى إذا استعملناها أعانتنا فى الافصاح والابداع . نعم إذا كان للمعنى الواحد عدة ألفاظ حق للذوق أن يختار منها أحلاها وأرشقها لا أن يعمد إلى أسمجها وأثقلها فيؤثره على المألوف إغراباً وتنطعاً اهـ »

وقول الأستاذ عزام هذا يشبه ما قلته مراراً : من أن كلمات اللغة فى المعاجم تحكى الأدوات المنزلية فى المنازل : منها اللطيف المرهف الذى يُصفّف في محاريب الدار (صالونها) ،ومنها الضخم الجافى الذى يخبأ فى أقبيتها وسراديبها ، ولكل أداة وظيفة لا تستعمل فيها الأداة الأخرى ؛ فللصديق الزائر متّكأ الحرير ومروحة الريش وأكواب السكر ؛ وللص الدار المراوة وبد المهراس ومشحوذ الخنجر

وشتان بين خشونة هذه ونعومة تلك ، كما أنه شتان بين كلمات (الجَمْظَرِيّ) و (الجَوّاظ) اللذين استعملها النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله (أهل النار كل جَعْظَرِيّ جَوّاظ) وبين كلمات (كَيِّس فَطِن حَذِر) التي استعملها (صلى الله عليه وسلم) في حديث (المؤمن كَيِّس فطن حذر)

وكلمة (ضوطار) من كلمات أو أدوات المعاجم القديمة ، فهل نستنقلها ونهجرها لثقالتها ؟ أم نُدَّخرها كما تدَّخر الحراوة للصّ فنخبأ (الضوطار) للرجل الذي ينزل ميدان السياسة ولا سلاح له يضمن له الفوز إلا الجهل والخرقة فنلقّبه بضوطار السياسة كما لقبه بذلك الشيخ جمال الدين أو الشيخ محمد عبده في جريدتهما (العروة الوثقى)

* * *

جاء في صحف الأخبار أن الطيار (فلان) حاول أن يبلغ بطيارته أعلى قمم جبل هملايا وهي قمة (أفرست) وبعد قيامه بما أخذه على نفسه ذكر أنه علا بطيارته في الهواء اللائق والمحاذي لسفح الجبل عدة مئات من الأميال صعداً قبل أن يبلغ القمة المذكورة وقبل أن يبلغ الفضاء الذي فوقها . فالهواء المحاذي للجبل ماذا يسمى ؟ يسمى (نفنفاً) . فهذه الكلمة نحتاج إليها للتعبير عن الهواء الذي لا يكون مطلقاً فوق الجبال وإنما يكون محصوراً بينها ومحاذياً لسفوحها ، فلا مندوحة للطيارين عن استعمال كلمة (النفنف) في لغة الطيران ومن استثقلها كان أثقل منها لعمري .

يقول الطيار : ثم جاوزت النفنف وأصبحت في الهواء المطلق فوق قمة (أفرست) فماذا نسمي هذا الهواء أو هذا الفضاء الذي طرت فيه ؟ نسميه (اللوح) ونقول له إن طيارتكم بلغت اللوح أو أخذت تسبح في اللوح . و(اللوح) بضم اللام الهواء بين السماء والأرض .

يقول المتشائم بغريب اللغة : إن اللوح فيها غرابة فهل من كلمة غيرها تؤدي معناها ؟

نعم كلمة (سُمْهى) بضم السين وتشديد الميم وألف مقصورة في الآخر .

فيقول : هذه أشد غرابة من تلك وفيها ثقل ليس مثله في كلمة (اللوح) فلنوطن أنفسنا إذن على قبول (اللوح) وصقلها بالاستعمال .

يقول الطيار إنه عاد فارتفع بطيارته إلى أسمى مناطق الهواء بحيث أصبح التنفس عسيراً عليه . فماذا نسمي الهواء ثمة ؟

نسميه (السُّكاك) بضم أوله ، وفسره علماء اللغة بالهواء الذي يلاقي عَنان السماء ، وفسروا (العنان) بالذي يبدو لك من السماء إذا نظرتها ، والذي تراه منها هو زرقتها ، والزرقة أقصى طبقات الهواء أو مناطق الهواء ، في بادىء النظر ، فالسكاك إذن هو الذي يكون في أعلى أو أقصى طبقة في اللوح

فيحسن أن ندخل في لغة الطيران هذه الكلمات الثلاث :

(النفْنَف) هو ما بين الجبال

(اللوح) هواء الفضاء بين السماء والأرض

(السكاك) هواء أعلى طبقات اللوح

ونكون أهملنا كلمة (السُّمْهى) مستغنين عنها باللوح لثقالتها التي ينفر منها المتشائمون . ويطرب لها الغويون المختصون .

وحاصل القول أن كلمات المعاجم أدوات كأدوات المنازل : منها الضخم الثقيل ، ومنها المرهف الخفيف . فعلى الكاتب اللبق أن يستعمل كلاً في محله اللائق به . وسلام

« دمشق الشام »

المغربي

والإنسان يبحث عن السر الشاب . أما العثور على هذا السر الطبيعي فلم يكتشف الا حديثاً بواسطة علم العلاج بالهرمونات الذي يرجع فيه وحده قياده . بدون منازع . للعلامة الأستاذ الدكتور ماجنوس لصير شفلد . فقد قدم هذا لبني الإنسان في لوتوسيلس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتكار حديث في حالات سرعة القذف . يجب استعمال لوتوسيلس نمرة ٣ . ولأجل معرفة كل ما يختص بالأمور الجنسية يجب طلب الكتاب . الحياة الجديدة . الذي يرسل إليك نظيرة للنسخة الفرنسية أو الانجليزية المجلدة برسم ذات ٥ فرنكات و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ طوابع بريدية : جلاشهوروفين ص ب ٢١٠٥ بمصر